الفصل الثانى

هل كل الصرع تشنجات؟

الصرع مرض معروف منذ القدم حيث أشار إليه الإغريق فى كتاباتهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد، ولقد كان أبقراط بعيد النظر حين أكد بأن الصرع ينشأ من المخ الدماغ بعد أن كان قدماء الإغريق يعتقدون بأنه مرض مقدس منزل من قبل الآلهة أو روح شريرة تلبست المريض، وكان الأطباء العرب روادا فى الكتابة عن الصرع حيث قال عنه الرازى أعظم الأطباء العرب قاطبة منذ أكثر من ألف عام «الصرع تشنج يعرض فى جميع البدن إلا إنه ليس بدائم لأن علته تنقضى سريعا» وكانت له طريقته فى التمييز بين النوبات الشديدة والهينة حيث قال: «أعرف مقدار عظمه بيسر النفس وعسره وصولته ومقدار صغره بسهولة التنفس وعظمه»وله تفسير لحدوث الزبد فى حالتى الصرع والسكتة حيث يقول: «الزبد فى الصرع يكون من شدة الحركة وفى السكتة من شدة الاستكراه والزبد كلما كان أكثر فإن العلة أصعب كثيرا مما يقل فيه الزبد وأما مالم يكن فيه زبد البتة فإنه خفيف».

والرازى يعتبر الصرع ثلاثة أصناف وفى هذا الصدد يقول إما أن يكون الخلط الفاعل له مستكنا فى الدماغ وإما أن يكون بمشاركة المعدة واما أن يكون صعوده من عضو ما من أعضاء البدن فإنه قد يحس بعض المصروعين شيئا كالروح الباردة يصعد من بعض أعضائه إما من اليد وإما من الرجل وإما من عضو آخر حتى يبلغ الرأس ثم يخرون ويتشنجون فوق العضو الذى منه يصعد وفى رأيه أن النفضات الصرعية تقصد إلى دفع أذى يحيق بالمصروع حيث يقول «ينبغى أن يكون البدن يرتعش ويرتعد بنفضه لأن هذه الحركة تقصد إلى دفع شىء مؤذ» وهو يفسر الصرع على أساس نظرية الأخلاط التى كانت سائدة فى زمانه فيقول: «كون هذه العلة وانقضاؤها بغتة يدل على أنها ليست تكون فى وقت من الأوقات بسبب يبس واستفراغ وإنما تكون دائما من انسداد المجارى والمنافذ بسبب خلط غليظ أو لزج منكر» وله رأى فى علاقة الصرع بالحمى حيث يقول: «الصرع تشنج يعرض فى البدن كله وحدوث الحمى بعد التشنج متوافق وقد ينحل الصرع عن المصروع إن أعقبته حمى»، وعن علاقة الصرع بالتكوين النفسى للمريض يقول: «أصحاب الوسواس السوداوى يصيرون إلى الصرع فى كثير من الأمر وأصحاب الصرع قد ينتقلون إلى الوسواس السوداوى».

أما ابن سينا فقد عرف الصرع بأنه «علة تمنع الأعضاء النفسية عن أفعال الحس والحركة والانتصاب منعا غير تام وذلك لسدة تقع وأكثر لتشنج كلى يعرض من أفة تصيب البطن المقدم من الدماغ فتحدث سدة غير كاملة فيمنع نفوذ قوة الحس والحركة فيه وفى الأعضاء نفوذا تاما من غير انقطاع بالكلية ويمنع عن التمكن من القيام ولا يمكن الإنسان أن يبقى معه منتصب القامة». ولم يتفق الباحثون حتى يومنا هذا على تعريف أمثل للصرع فتعددت تعريفاته وتفاوتت وتباينت من باحث إلى آخر ولعل أبسط تعريف للصرع هو أنه عبارة عن «نوبات متكررة من اضطراب بعض وظائف المخ النفسية أو الحركية أو الحسية أو الحشوية تبدأ فجأة وتتوقف فجأة وقد تكون مصحوبة بنقص فى درجة الوعى إلى حد الغيبوبة أحيانا مع ظهور تغيرات فى النشاط الكهربائى للمخ عند تسجيله بواسطة «مخطط كهربائية الدماغ».

كيف تحدث النوبات الصرعية؟

من المعروف أن كل خلية من خلايا المخ تؤثر فى عشرات الألاف من الخلايا المجاورة لها (حوالى خمسين ألف خلية) عن طريق عدد من العمليات الكيميائية كما تحمل كل خلية شحنة

كهربائية عبر الغشاء المحيط بها تسرى خلال جسم الخلية إلى أطراف ليفتها العصبية التى تعرف بالمحور. ولايوجد اتصال كهربائى مباشر بين خلية وأخرى ولكن الشحنة الكهربائية تكون مصحوبة بإفراز كمية صغيرة من مادة كيميائية تعرف بالموصل الكيميائى وينشر هذا الموصل عبر الحيز الضيق الذى يفصل بين طرف الليفة العصبية (المحور) والخلية المتاخمة لها فيحدث شحنة كهربائية تؤدى إلى تنبيهها. وهناك نوع آخر من أطراف الألياف العصبية ذو مفعول مثبط على الخلايا فى عملها على محصلة الأثار المنبهة والمثبطة لكافة الخلايا المحيطة بها، دعونا نتصور أن تلفا أو أذى قد ألم بعدد من خلايا المخ ذات الأثر المثبط فأدى إلى تحرر الخلايا المتاخمة لها مفرطة الإثارة وتطلق شحنات منبهة لمزيد من الخلايا المحيطة بها لتفرغ بدورها شحنات جديدة دون رادع وعلى غير هدى وبذلك يشارك عدد متفاوت من الخلايا فى إطلاق شحنات كهربائية شاذة تسرى فى المخ سريان النار فى الهشيم ويمكن تسجيلها بواسطة مخطاط كهربائية الدماغ ونتيجة لذلك الاضطراب فى وظيفة المخ تنشأ أنواع مختلفة من الصرع بسبب إطلاق أنماط متباينة من الشحنات الكهربائية الشاذة بواسطة خلايا المخ، وليس من الضرورى أن تصاب مجموعة

من خلايا المخ بالتلف ليحدث الصرع إذ أن أى شىء يزيد من استفزازية الخلايا أو يحول دون تثبطها يؤدى إلى نفس النتيجة، ولعل أبرز أمثلة ذلك هى نوبات التشنج التى تصيب الجنود بسبب التعرض لغازات الحرب التى تعرف بغازات الأعصاب وكذلك النوبات التى تصيب بعض مدمنى المشروبات الكحولية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن من يتعرض لنوبة تشنج واحدة خلال حياته كلها ليس بالضرورة مريضا بالصرع، ويرى المتخصصون من الباحثين والأطباء أنه لتشخيص الصرع يتحتم أن يكون الشخص قد تعرض لأكثر من نوبة صرعية من أى نوع عدا أن تكون بسبب الحمى، ولعل من المفيد فى هذا الصدد أن نعتبر النوبة الصرعية عرضا أو وسيلة من الوسائل التى يتفاعل بها المخ فى مواجهة المؤثرات الداخلية المعاكسة، فإذا ما استمر تكرار النوبات فإن ذلك يعنى أن المريض مصاب بالصرع، ولعل دور الطبيب فى هذه الحالة لاينحصر فى العلاج الذى يوقف النوبات فحسب وإنما يمتد إلى محاولة اكتشاف أسبابها وعلاج تلك الأسباب.

تفاوتت الدراسات الوبائية فى تقدير معدلات انتشار الصرع فى بلدان العالم المختلفة فبينما يؤكد بعضها أن نسبة انتشاره لاتتعدى نصف فى المائة من السكان يشير البعض الآخر إلى أنه

يصيب من واحد إلى اثنين فى المائة منهم، ولم تجر دراسات وبائية على نطاق واسع فى أى من البلاد العربية لتقدير مدى انتشار الصرع بها ولكن الدراسات القليلة التى أجريت على أعداد محدودة أو فئات معينة من المصرين كطلبة المدارس مثلا تشير إلى أن الصرع يصيب من نصف إلى واحد فى المائة منهم، والأمل كبير فى إجراء عدد من الدراسات الوبائية الشاملة على عينات ممثلة لكافة السكان فى مختلف بلدان العالم العربى لتقدير معدلات انتشار الصرع بينهم إذ لايمكن علاج مرض شائع كهذا بأسلوب علمى صحيح دون تحديد مسبق لحجم المشكلة (أىّ مدى انتشار المرض) بشكل دقيق.

وتتفق معظم الدراسات العالمية على أن الصرع أكثر شيوعا فى العقدين الأول والثانى من العمر ولكنها تختلف حول معدلات انتشاره فى الذكور والإناث فبينما تشير بعض الدراسات إلى أنه أكثر شيوعا فى الذكور يشير بعضها الآخر إلى أنه أكثر شيوعا فى الإناث ويرى فريق ثالث من الباحثين أن معدل انتشاره متساو فى الجنسين.كما تشير بعض الإحصائيات إلى أن الصرع أكثر شيوعا بين الطبقات الفقيرة عنه فى الطبقات ذات المستوى الاجتماعى والاقتصادى المرتفع، والبعض يعزون ذلك إلى سوء

التغذية والجهل المتفشى فى الطبقات الفقيرة بالإضافة إلى شيوع ظاهرة زواج الأقارب الذى قد يساعد على انتشار الأنواع الوراثية من الصرع والميل إلى إنجاب عدد كبير من الأبناء مما يتيح إصابة أكثر من شخص فى الأسرة الواحدة بنفس المرض.

obeikandl.com